الأزهر والثقافة الدينية
وأثرها في الحياة المصرية

للأستاذ محمود الشرقاوى

أقيمت فى مصر منذ شهرين أو أكثر ، المهرجانات لمناسبة تنشرح لها صدور المثقفين الذين يرجون أن تتعمق الثقافة المصرية كيفاً ، كما يراد لها أن تتسع كما ، وأن تستوعب تلك هى المهرجانات التى أقيمت احتفالا بالعيد الفضى لجامعة فؤاد الأول

وقد نالت هذه المناسبة من الاهتمام — وذلك أمر طبيعى — إلى حد أن شرفها جلالة الملك بحضور بعض حفلاتها ، وإلى حد وضعها جميعا تحت رعايته السامية ، وإلى حد أن يدعى لشهودها كبار رجال الفكر والعلم من بلاد العالم المختلفة ، فحضرها مندوبون عن ثلاثين من الدول بلغ عددهم مائة وخمسة وسبعين ، وقد شهدوا جميعا مدى ما وصلت إليه الثقافة المدنية فى مصر من تقدم ونجاح

ومنذ أيام قريبة رأينا وسمعنا عن حفلات تقام فى إحدى مديريات مصر يتبرع فيها ، أو يعلن فيها بالتبرع ، بأموال ضخمة ستخصص لإنشاء مدارس ، وقد تنشأ منها أو يستعان بها على إنشاء جامعة جديدة ، فوق ما أنشئ من جامعات فى السنوات الأخيرة . وأبادر فأسجل أن هذه مناسبات وتوجيهات تنشرح لها ، كما قلت ، صدور المثقفين الذين لا يرجون لوطنهم إلا الخير

ولكن هناك شئ آخر هو الذى أريد أن أجعله موضوع هذا المقال

* * *

منذ ذلك الوقت الذى كانت تقام فيه تلك المهرجانات الحافلة لعيد الجامعة، وإلى هذه الأيام القريبة التى تلبى فيها الدعوات وتبذل الأموال الضخمة ، أو يوعد ببذلها ، لإنشاء مدارس وجامعة جديدة ، فى هذا الوقت وذاك ، وأينا وسمعنا ، وما نزال نرى ونسمع ، عن أمور تجرى فى جامعة عريقة تعتز بها مصر ، ويحتاج العالم الإسلامى — أو هكذا يقال — للنهوض به ، أو لما يمكن أن تقوم به ، من جهود فى سبيل إحياء ثقافة هذا العالم وحفظ

حصول ملكة الفرقان التى يفرق صاحبها بنوره بين الأشياء التى تعرض له من علم وحكم وعمل ، فيفصل فيها بين ما يجب قوله وما يجب رفضه وبين ما ينبغى فعله وما يجب تركه . »

أما سنة القرآن فى الإرشاد إلى العبادات فهى عند السيد رشيد رضا « بيان أصولها ومجامعها وتكرار التذكير بها بالإجمال . وأكثر ما يحث عليه من العبادات الصلاة التى هى العبادة الروحية العليا والاجتماعية المثلى . فقد كرر القرآن الأمر بها فى آيات كثيرة (٢٩ بـ ٤٥) انل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون » . وقوله (٧٠ ، ١٩ إن الإنسان خلق هلوعا، إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم . » (صفحة ١٦٥ / ١٦٧ من كتاب الوحى المحمدى)

وسواء أقام المتكرون للدين أو المصلحون له يجادلونه فى نواحيه الفكرية الرمزية أو فى نواحيه العملية من طقوس وعبادات وما إليها، فإن الحقيقة التى لا تقبل الجدل أن للدين وظيفة أساسية فى السلوك الإنسانى (فرديا كان أم جماعيا) لم يبطلها تطور الفكر والاكتشافات العلمية قديمها وحديثها. وكل ما فعله هذا التطور أن أفسد على الدين بعض وظائفه دون أن يستطيع بناء ما هدم

فإذا كان للدين — إذن — هذه الوظيفة الاجتماعية الهامة فلنحاول فيما بعد أن نتعرف جوهر النتائج الاجتماعية للاختبار الدينى

نيويورك — لجنة الصلة — عمر عليبى

تراثه العقلي والأدبي والروحي . بل في سبيل تنمية هذه الثقافة وتعزيزها ومدها بعوامل البقاء والتقدم

هذه الجامعة هي الأزهر

والناس أمام هذا الذي رأينا وسمعنا عن هذه الجامعة فريقان، فريق يرى أن من خصائص رجل الدين التبتل والبعد عن رغائب الحياة وأن واجبه الأول هو الدعوة لدين الله وتعليم الناس وهدايتهم . وهذا الواجب مما لا يتخلى عنه رجل الدين الحق ، مهما لقي في سبيله

وفريق يرى أن رجل الدين إنسان يجب أن يعيش كما يعيش الناس ، وأن توفر له أسباب الحياة ، لا تقول الحياة الميسورة الموفورة ، ولكن الحياة المعقولة المقبولة . وتوفير الأسباب لهذه الحياة سبب أو شرط لابد منه لتمكينه من أداء واجبه في الهداية والدعوة

ولست الآن بسبيل التفنيد أو التأييد لأحد هذين الرأيين ، أو كليهما ، أو التوفيق والتأليف بينهما . بل أريد أن أعالج الأمر بما هو أعم وأشمل

* * *

مهمة الأزهر ، أو المفروض أنه مهمته ، هي القيام بالرعاية على كل ما يتصل بالدين والعقيدة واللغة ، ووسيلته إلى ذلك هي معرفة نوع معين من الثقافة هو الثقافة الإسلامية . وهذا النوع من الثقافة أو المعرفة إن لم يكن أهم الأسس التي تقوم عليها الحياة المصرية ، فهو من أقوى أسسها ، لأنه أحد مقوماتها الأصيلة ، أو يجب أن يكون كذلك

ومصر من أهدافها أن تمكن علاقاتها الثقافية وأن تمد نفوذها الأدبي في مجالين ، الأول تلك البلاد العربية التي تربطنا بها جامعة الدول العربية أو وشائج الدين واللغة ، والثاني مجال القارة الإفريقية أو مناطق خاصة فيها تحتاج لثقافة مصر ومعرفتها ونشاط أبنائها . وقد كان لرفعة رئيس الحكومة في هذا الشأن حديث أذيع منذ شهور وظل إلى عهد قريب موضع تعليقات الصحف في العالم

هذه الأهداف الثقافية ، أو ما هو أبعد مدى منها ، لا يمكن أن يتحقق إلا على الأساس الأول من أسس حياتنا المشتركة مع هذه البلاد العربية وأهم مقوماتها ، وهو الدين واللغة، ولا يمكن أن يأخذ سبيله إلى المجال الآخر إلا على أساس من ثقافتنا ولغتنا لكي تقوم بيننا وبين هذه البلاد علائق موثقة يمكن أن يكون لها دوام ورسوخ ونمو

وهناك زعامة مصر على البلاد الإسلامية أو العربية . وسواء أكانت هذه الزعامة قائمة فعلا ويراد الإبقاء عليها وتعزيزها ، أو هي هدف يراد الوصول إليه ، فإن من أهم أسانيد هذه الزعامة ومبرراتها الحرص على خصائص ما هو « إسلامي » و « عربي » من الثقافة والفهم والفكر

فهل يراد من الأزهر أن يكون هو سبيل الوصول إلى هذه الأهداف . . ؟

إن كان الجواب « نعم » فيجب أن يدرك القوم ، وأن يدرك الأزهر ويعمل والإدراك أول مراحل العمل ، للتمكن من الوصول إلى هذه الغايات ، وأن تمهد له السبل لهذا الوصول

هناك احتمال آخر، هو أن ما يقصد بالدين واللغة شيء ، ومواطن الدراسة للدين واللغة شيء آخر ، وأن الثقافة واللغة أمران أعم من الأزهر والمعاهد الثقافية . هذا الاحتمال أو الغرض يهمس به قوم ويجهر به أقوام. وهم يقولون إن الأزهر قام بواجبه في الأزمان الماضية في حدود إمكانه وفي حدود الحاجة التي كانت قائمة في تلك الأزمان ، وأن الأزهر أدى رسالته في ظروف كانت الملاءمة قائمة بينه وبين بيئته وعصره . ثم تغيرت الأزمان ، وقد يكون تغير الإمكان والقدرة أو تطورها أقل من تغير الزمن وتطوره ، وقد تكون الملاءمة الآن مع العصر غير قائمة أو غير كافية

هذا الوضع ، أو التحديد للمسألة ، يهمس به قوم ويجهر به أقوام . فإن كان هذا التحديد صحيحاً معتبرا عند أهل الاعتبار ومن بيدهم توجيه الحياة العامة في مصر ، فإني أعتقد أن الحرص على مقومات حياتنا وثقافتنا ، وعلى الأهداف العامة التي تهدف إليها مصر لتعزيز مكانتها ، الحرص على هذا وذاك ، يجب أن يكون مقدما على اعتبارات الرعاية والمجاملة

محمود الشرقاوي